عقدة الثمانين كيف تتحول إلى عين اليقين ؟

أولاً : المقدمة :

تحدث ابن خلدون في مقدمته الشهيرة عن أن الأمم والممالك تحيا كما يحيا الشخوص والآدميون، وتمر هذه المكونات السياسية بما يمر به بنو آدم من مراحل نمو وتطور ، حتى يأذن الله بأخذ ودائعه منهم ؛ فيقضون ويدفنون ، ليرثهم الوارثون . فالإنسان يمر بمراحل نمو متعددة ؛ فمن طفولة إلى مراهقة فرشدٍ فشيخوخة ؛ وكذا الدول من تأسيس وبناء ، إلى استقرارٍ فتوسع وتمدد ، وصولاً إلى حالة من الضمور والانكفاء على الذات، سيراً نحو الاضمحلال والزوال ؛ ليورث الله الأرض من يشاء من عباده الصالحين . والمتتبع لأخبار الدول والممالك ، والقارئ لتاريخ الأمم والشعوب ، يرى مصاديق ما قاله ابن خلدون رأي العين ؛ فما من مملكة سابقة ؛ قبل ميلاد المسيح وبعده ، وقبل بعثة سيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعدها ؛ ما من مملكة سادت ؛ إلا وعادت فبادت ، واضمحل دورها ، وخبا ذكرها ، واندثر أثرها ، وهي إمبراطوريات وممالك ملكت مشارق الأرض ومغاربها ، وسيطرت على كل ما تطلع عليه الشمس أو تغيب عنها ، تسلّطت على البلاد والعباد ، وملكت مخازن الأرض ، ومفاتح الخير، وحمت بشرها وحجرها بأجناد وعتاد ، ثم أصابها ما أصاب من قبلها ـ لن ندخل في أسباب الزوال أو الاضمحلال كونه خارج بحث هذه الورقة ـ وبقيت عقدة التحول والاستبدال والزوال هاجس الجميع ، فالدول تقاتل وتصالح ، وتعاهد وتحالف ، بحثاً عما يطيل العمر ، ويدفع شر، ويبقي الأثر . والكيان المؤقت في أرضنا المحتلة ليس بدعاً من الأمر ؛ فهو أصلاً ما قام إلّا بعد أن نفى وهجّر وأخرج أصحاب الأرض منها ، ظاناً أن كبارهم سيموتون ، وأن صغارهم سينسون ، فمات الكبار ، ولم ينسَ الصغار ، فهم ـ الصغار ـ يذكّرونه كل يوم بفعلهم المقاوم أنه محتل ، وأنهم أصحاب حق ؛ وما ضاع حق وراءه مطالب . وقد نشأ الصغار على تربية الكبار ؛ بأن هذا الكيان إلى زوال ، وأن وعد الآخرة قادم لا محالة ، ليتبّر عباد الله أعداء الله تتبيراً ، فهذا ـ التمسك بأمل التحرير ـ هو دأب المحتلة أرضه ، المسلوب رزقه ؛ أما أن يتحدث المُحتل الذي سرق ونهب وقلب الحقائق ، وهو الذي لم يترك سبباً من أسباب القوة إلّا ملكه ، ولا حليفاً إلا ومدّ معه أواصر الصداقة ، بل هو الصديق الأول لـ (مختار) هذا العالم ، عنينا به أمريكا ، والذي جعله ـ العدو ـ من أهم مصالحه في المنطقة ، وربط مصيره بمصيره ، أن يتحدث هذا المزهو بقوته المختال بعلاقته هذه عن عقدة بلوغ سن الثمانين ـ لم يبق لبلوغ هذه العقدة سوى خمس سنوات ١٩٤٨ / ٢٠٢٨ ـ التي لم يبلغها بنو جلدته من قبله ، وأنه قد لا يصل إلى هذا السن ! فهذا ما يحتاج إلى تفصيل وبحث دقيق عن أسبابه ، وهو أمرٌ لن ندخل في غماره لكثرة ما سيقال عنه ويكتب ، **وإنما سنناقش في هذه الورقة المتطلبات والأمور التي تجعل المتضررين من هذا الكيان المؤقت قادرين على تحويل هذا التهديد الذي يشعر به هذا العدو ، إلى أمرٍ يقين ممكن الحدوث** ، من خلال سرد وتفصيل أهم هذه العوامل والمتطلبات في العناوين الآتية :

ثانياً : عوامل تحويل التهديد الذي يشعر به العدو إلى فرصة وفعل يقين :

١. **تحديد مصادر التهديد الذاتية والموضوعية التي دفعت العدو إلى هذا الظن والعمل على تفعيلها وزيادة أثرها :**

إن من متطلبات تحول هذا التهديد الذي يشعر به العدو إلى واقع معاش ، وحقيقة مؤكدة الوقوع هو البحث في أسباب شعوره هذا ، وكيف وصل إلى هذه القناعة ؟ وماهي الدوافع التي دفعته لتوقع عدم بلوغه سن الثمانين ؟ هل هي عوامل داخلية بحتة ؟ أم خارجية تطرق بابه ؟ أم خليط من هاذين التهديدين ؟ يجب على المتضررين من هذا المحتل وضع هذه الأمر على طاولة التشريح ، واخضاعه لمبضع الجراح ، للوقوف الدقيق المحدد على تلك الدوافع والمسببات ، فإن أول متطلبات تفعيل هذه المسببات ، وزيادة أثرها هو معرفتها الدقيقة والتفصيلية ، ليبنى على الشيء مقتضاه .

٢. **تحديد أهم هذه التهديدات ومراكز ثقلها الموضوعية لتوجيه الجهود لها :**

ثم لابد من معرفة أي تلك التهديدات هو المركزي فيها ، وأين مركز ثقلها المطلوب التركيز عليه ، و توجيه كافة الجهود لضربه ، والتأثير فيها ، أو لزيادة فعلها وأثره كمكون وفاعل في توليد هذا الشعور لدى العدو . فمثل هذه المعرفة تختصر علينا الجهد والتكاليف البشرية والمادية المطلوبة للتعامل مع مثل هذا الموقف ، وتوصلنا إلى غاياتنا بأسرع الأوقات وبأقل الأثمان .

٣. **تحديد وتعريف العدو وحلفائه بشكل دقيق وموضوعي :**

إن هذا العدو معروفٌ بذاته ، محددٌ بجغرافية وجوده ، ولكن في معركتنا الفاصلة معه والتي ستتبر ما على هذا العدو تتبيراً ، يجب إعادة تعريف هذا العدو من جديد وبشكل دقيق ، وعدم قصر هذا التعرف عليه وحده ، فقد قال لنا ربنا في محكم تنزيله أن هذا العدو ما بلغ ما بلغ إلا بحبل منه سبحانه عز وجل وبحبل من الناس ، فإن أحسنا وصل حبلنا بالله ؛ قطعنا حبله سبحانه عز وجل عنه ، ليبقى حبل الناس ، وهنا يجب تعريف من هم هؤلاء الناس ؟ هل هم أناس داخليون ؟ أم أناس من الخارج ؟ وما هو دورهم وطبيعة حبلهم أو حبالهم التي تمد هذا العدو بأسباب الحياة والبقاء ، لتضرب ولتوجه لها الجهود لفك جَدلها ، إن وعد الآخرة المنتظر لا يحتمل الدخول فيه بتعاريف ملتبسة ، أو بأفهام منحرفة ، أو تصورات غير دقيقة ، وإنما يجب التركيز ، وتعريف المصطلحات وتحرير المفاهيم ، لتضرب الناسُ عن قوس واحدة ، باتجاه هدف واحد ، مجمع على تعريفه ، متفق على حدوده الذاتية والمضافة .

٤. **تحديد مركز أو مراكز الجهد الرئيسية ـ سياسية ، عسكرية ، اقتصادية ، ديموغرافية ـ التي سيتوجه ضدها الضغط :**

قلنا أننا يجب أن نحدد مركز الثقل الرئيسي لمصادر التهديد التي دفعت هذا العدو الصائل للوصول إلى هذا التصور ـ عدم بلوغ الثمانين ـ والهدف من تلك المعرفة هو تحديد مراكز الفعل الرئيسية للفاعلين الحقيقيين في تحويل هذا التهديد إلى واقع مُعاش ، هل فعل الفاعلين سيتركز على مراكز ثقل العدو السياسية فتضرب ؟ أم العسكرية فتهاجم ؟ وما هو دور مراكز ثقله الاقتصادية ؟ ماذا عن العامل الديموغرافي المعادي ؟ ما هو نصيبه في جهود الفعل

المقاوم ؟ إن مثل هذا التحديد يعني رسماً لمعالم الخطة المطلوب وضعها والاتفاق عليها لخوض معركة وعد الآخرة ، وتحديد جهود مسار بناء وتخصيص القدرات فيها ، وإلا سنختلف أثناء المسير والتحضير ، فقد ينزع البعض باتجاه الفعل السياسي البحت ، وقد يقلل آخرون من ضرورة ضرب العصب الاقتصادي لهذا العدو ، أو قد يرى بعض العاملين أن هذا العدو يتمتع بعناصر قوة كاسحة في المجال العسكري ، وعليه لا جدوى من مواجهة آلته الدموية هذه ، عندها ستتشتت الأذهان ! وتضيع الجهود! ولن ترتب الإجراءات وفقاً لما تتطلبه الأولويات ، فيصدق عندها في فعلنا هذا مثلنا الشعبي (مثل حراثة الجمال ، اللي بتحرثه بترجع بتلبده) !!

٥. **تحديد الشركاء الفاعلين في تحويل (عقدة الثمانين) إلى فعل يقين** :

إن هذا العدو مد شبكة علاقاته ، وبنى منظومة تحالفاته حتى وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فحبله مع الناس أصبح جملاً لا يلج لسماكته سم الخياط ، وهو وحلفاؤه ـ الداخليون والخارجيون ، القريب منهم والبعيدون ـ يفكرون بعقل جمعي ، ويعملون بنفس جماعي ، يعرّفون الأهداف ، ويوزعون الأدوار ، ويتقاسمون المهمات ، ومثل هذا العدو بمثل هذا التوصيف ؛ لا يمكن العمل ضده إلّا بنَفسٍ وحدوي وعقل جماعي وجمعي ، إلا نفعله تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، وعليه لابد من تحديد وتعريف الشركاء الحقيقيين في مواجهة هذا العدو ، ونسج خطوط العلاقات والصداقات والتحالفات معهم ، وتوحيد المفاهيم بيننا وبينهم ، يجب الاجتماع على قواسم مشتركة متفق عليها ، متفاهم على مضامينها ، وإلا وقع الانكار لاختلاف المعيار والقرار ، وعندها لا نصر ولا عودة إلى الديار !!

٦. **تحديد أدوار الفاعلين وتخصيص القدرات بناء على المهمات** :

يلي مرحلة تعريف الفاعلين الحقيقيين ، والشركاء المخلصين في هذا المسير ؛ تحديد أدوارهم ، ونصيب كل منهم في الجهد والفعل ؛ فكل ميسر لما خلق له ، وتَحمُل ما لا يطاق ؛ مظنة فشل واخفاق ، وطلب المؤازرة والعون عند التحام الصفوف ؛ موقف بالمخاطر محفوف ، لذلك يجب على العاملين الحقيقيين لزوال هذا الكيان المؤقت عن أرضنا أن يعرف بعضهم قدرات بعض ، وأن يحدد كل منهم ما يستطيع فعله ، وما لا يقدر على تحمل أكلافه ، وسياسات وضوابط فعل كل منهم ومحددات حركته ، عندها فقط يمكن الدخول في عمل تكاملي وجهد جماعي ، يفضي بإذن الله إلى تحويل عقدة الثمانين إلى مراسم دفن وتأبين .

٧. **قطع حبل الناس الذي يمد هذا الكيان بأسباب الحياة** :

ومما يجب العمل عليه من الآن ؛ قطع حبل الناس مع هذا العدو الخناس ، فهو بهم ومنهم ومعهم يقوى ويتقوى ، وقد مد حبال علاقاته مع كل من يرى أنه له عنده مصلحة ، أو ممكن الاستفادة منه ، فهذا يمده بالسلاح ، وذاك يمده بالرأي والمشورة ، وآخر يعقد معه تفاهماً ليؤازره في المحافل الدولية ، ومنهم من يشاركه فعله الأمني والعسكري ؛ بجلب معلومة أو تصفية مقاوم مجاهد ، وحبل الناس هذا من نقاط ارتكاز العدو الرئيسية التي يتكيء عليها ، وينطلق منها ، ويضعها في حساباته ويوردها في تقاريره وتقديراته ، لذلك يجب وضع الخطط والتفاهم على الإجراءات التي تقطع هذه الحبال ، وتفك عراها.

٨. **رفع كلفة بناء العلاقات وانشاء الصداقات مع هذا الكيان المؤقت** :

إن من أهم طرق وإجراءات قطع حبل الناس مع هذا العدو ؛ رفع أكلاف مدها ونسجها ، يجب على كل من يريد أن يتصل بهذا العدو ، أو يمد له يد العون ، أو يقدم له استشارة ، أو يؤازره في موقف ،يجب عليه أن يعرف أنه يقف في صفه ، وأنه سعره بسعره ، فقديماً قيل : عدو عدوي صديقي ، وصديق عدوي عدوي ، وهذه معادلة يجب تفعيلها وجعلها معيار وميزان ، ويجب كسر الأسطوانة التي صدعت رؤوسنا والتي تقول أن العلاقة مع هذا العدو من قبل البعض يمكن أن يُستفاد منها في تخفيف غلوائه ، والحد من صلفه وعدائه ، يجب أن نقول للجميع بأننا وهذا العدو في فسطاطين متناقضين ، وأن أنصاف المواقف لا تخدم قضيتنا ، وأن المعادلة هي إما معي أو مع هذا العدو ، فليحدد كل موقفه ، ولينظر كل مكان قدمه ، والسلام ، فوعد الآخرة بحاجة إلى مواقف واضحة ظاهرة .

٩. **رفع كلفة البقاء في هذا الكيان المؤقت لقاطنيه المحتلين** :

إن هذا العدو وهذا الاحتلال من النوع الإحلالي الذي بنى معادلة بقائه على نفي الآخر ، والحلول مكانه ، وهذا النوع من المحتلين قال عنهم ربنا أنهم أحرص الناس على حياة ، وقد جاؤوا من مختلف أصقاع الأرض طلباً للبنٍ وعدوا به ، وعسلٍ منّوا النفس بتذوقه ، فإن أحلنا لبنهم خلاً ، وعسلهم طيناً ، ونهارهم ليلاً ، وليلهم قلقاً ، فروا فرار الحُمر المستنفرة التي تفر من قسورة ، يجب أن نوصل إلى ذهن وعقل كل من يفكر في القدوم إلى بلدنا هذا أنه إنما يأتي إلى مقتله ، ويحفر قبره بيده ، وأن من سيبقى في بلادنا من محتل وغاصب ، فلن نقاسمه رزقنا ، ولن نشاركه دارنا ، وسنطارده في كل حارة ، وسنكمن له خلف كل تلة وخلة ، وسنحيل حياته جحيماً لا يطاق ، فإن خرج صباحاً فلا يتوقعنَّ العودة إلى بيته مساءً ، وإن خرج في المساء ، فلن نمهله حتى الصباح ، سنجعله يمشى متلفتاً حوله ، شاكاً في كل شيء ، حتى في ماسورة الماء التي توصل الماء إلى بيته ! هل هذا ممكن ؟ نعم ، وها نحن نراه كل يوم رأي العين ، فالضفة تغلي ، ومناطق الثمانية وأربعين تتحفز للانقضاض ، وغزة تراكم القوة فوق القوة ، أما الخارج ـ كل الخارج ـ فما خفي أعظم !!

ثالثاً : توصيات ومقترحات :

وعليه فإننا ـ محور المقاومة ـ كمعنيين بزوال هذا الاحتلال ، وبأن نكون من عباد الله الذين سيجوسون خلال الديار، متبرين هذا العدو تتبيراً ، إننا بحاجة إلى خطة خمسية ـ ما تبقى لبلوغ الثمانين ـ تُبلور معالمها بعقل جمعي ، ويفكَر فيها على نحو مؤسسي ، وتوضع معالم إجراءاتها بشكل مهني ، تحدد :

١. المهمة الرئيسية الكفيلة بتحويل هذه العقدة إلى حقيقة ويقين .
٢. مراكز جهدها الرئيسية .
٣. ترتيب أولوياتها التنفيذية .
٤. المشاركين الرئيسيين في تفعيلها ، والداعمين الثانويين في بنائها .
٥. توزيع الأدوار المهمات بناء على القدرات والأولويات .

٦. آليات متابعة وإشراف على سلامة السير لمنع الانحراف .

فهذا عدو حوله أعداء ، جمعوا خيلهم ورجِلَهم ، فَرغوا وتَفرغوا لرمينا عن قوس واحدة ، يرون فينا النقيض لهم ، وأن معادلتنا معهم معادلة صفرية ، لذلك ينجزون ـ الأعداء ـ ويحققون فينا الإصابات تلو الإصابات ، ونحن إن لم نكن على شاكلتهم في الفعل ؛ تفكيراً وتدبيراً وإجراء ، فسنطيل لهم البقاء في أرضنا ، أرض المعراج والإسراء . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد الله أمين

٢٠٢٣ ٠٣ ٠٥